- المستوى / سنة ثالثة ليسانس تخصص فلسفة

- مقياس / فكر عربي حديث

- مضامين المقياس

المحاضرة الأولى: في مفهوم النهضة

تمهيد:

اقترن التقدم الأروبي تاريخيا بفترة مهمة من تاريخ أروبا وهي فترة ماعرف بالنهضة، ففي خلال هذه الفترة الممتدة بين القرن الثاني عشر والقرن السادس شهدت أروبا ميلاد وتطور المدارس والجامعات، وميلاد الأفكار الفلسفية والعلمية، وظهور الآداب والفنون المختلفة وتألق الأسماء الفذة الخالدة كدانتي ودافنشي وغيرهما، وفي حين أن هذه النهضة التي بدأت في إيطاليا ثم إمتدت الى فرنسا وإسبانيا، ثم عمت المناطق الأروبية الأخرى التي كانت تسير على قدم وساق في اتجاه النمو والتطور كانت الجهة المقابلة جهة المنطقة العربية تتجه على النقيض من ذلك الى الضعف والإنحدار. لقد بدأ ذلك من القرن الثالث عشر وتواصل الإتجاه الى مزيد من الإنحطاب الى القرن التاسع عشر، الى ان حل مابات يعرف بالنهضة العربية . والسؤال الذي يطرح نفسه عندئذ / كيف حدثت هذه النهضة؟ وهل هناك تشابه بين هذه النهضة والنهضة الأوربية ؟ وماهو الإتجاه الذي أخذته هذه المرحلة؟ وماهي تجلياتها من خلال ذلك؟

- وقفة مع مصطلح النهضة:

يوحي تداول هذا المصطلح عربيا على وجود تشابه في المعنى عند كل من الأروبيين والعرب. غير أن إلقاء نظرة على دلالة هذا المصطلح في جانبه الأروبي يمكننا من إكتشاف أن هذا المصطلح له علاقة بالسياق الأروبي الخاص. إن هذا المصطلح عندما يستعمل أروبيا يستعمل للدلالة على فترة القرن التاسع عشر وفترة ماقبل ذلك من إرهاصات وفترة ماتلاه من أحداث وتطورات لاحقة في القرون التالية، حيث تغيروجه أروبا عما كانت في القرون الوسطى. في العادة فإن هذه الفترة عندما يشار اليها ينصرف الذهن الى ماحصل من عودة الى التراث اليوناني وماجرى من محاولة احيائه، كما ينصرف الذهن الى ماوقع من صراع بين الكنيسة والعلماء وبين الكنيسة والدولة او السلطة الزمنية، كما ينصرف الذهن أيضا الى ماكان من انكباب على العلم الطبيعي دون العلم الديني، وطبعا الى ماستتبع ذلك مما تغيرات حضارية فيما سمي بعصر التنوير إبان القرن الثامن عشر أو ماسمي بعصر الحداثة في القرن التاسع عشر . فإذن ثمة خصوصية وراء هذا المصطلح لايمكن اغفالها . اما في ثقافتنا العربية وبشكل دقيق فانه ليس لهذا المصطلح الدلالة ذاتها تماما من

حيث الزمان والمكان ان مايمكن ملاحظته أن هذا المصطلح قد إرتبط وكما يلاحظ بعض الدارسين بالعامل الخارجي أي بما يسمى الثقافة الوافدة أو ثقافة الإحتكاك الحضاري الإستعماري التي بدأت على العالم الخارجي. لقد تجلى هذا وكما يشار بالثقافة الوافدة للحملة الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر ثم ارتبط بالعودة الى الجذور التراثية، والاعتماد على الذات ومحاولة الإفادة من الآخر . وكما يقول أحد الدارسين فهذا المصطلح هو اقرب الى ان يكون مفهوما حضاريا متجددا منه ان يكون مجرد مصطلح لذاته يمكن ان يتشابه مع غيره وانما هو مفهوم حضاري في رايه لأنه من جهة هو مصطلح خلافي، ومن جهة اخرى هو مصطلح مفتوح بإستمرار على المستقبل أي بمعنى انه مما يعبر عن تطلعات الأمة العربية في التغيير والتطور كحال ما وصلت اليه الأمم الاخرى.

والواقع أن النهضة العربية مختلفة في طبيعتها عن النهضة الأروبية فإذا كان يمكن ان نجد عناصر اشتراك بينهما من مثل وجود الإتجاه الى تحرير الدين من التشويهات التي لحقت به او وجود الاتجاه الى توجيه السلوك الديني نحو الاستقامة الدينية، بعيدا عن الاوهام والممارسات الخاطئة او وجود الاهتمام بالتعليم والتأليف والافكار الجديدة، الا ان ذلك لم يكن ليدل على الرقي نفسه الذي حصل عند الاروبين أو انطلق من المناخ نفسه الذي وجد عند الاروبيين. فالنهضة العربية وكما يذكر لم تنتج مذاهب ونظريات او علوم او اسماء علمية مثل الاروبيين، ولم تتحول الى العقلانية والحداثة في الميدان الاجتماعي والسياسي. ان ماحصل ان هذه النهضة قد كانت نخبوية واعاقها الاستبداد ونزعة المحافظة على الماضي .

وعلى العموم فإننا اذا وقفنا على مفهوم النهضة في ذاته وودلالته كما قد اصبح عليها عند العرب في الفترة التي نقصدها نجد انه المفهوم الذي دل على التقدم في مقابل التخلف وهذا المعنى في الحقيقة لااختلاف فيه فجل الاعلام والإتجاهات التي ظهرت عندئذ سواء كانت دينية أو قومية قد سعت نحو هذا الهدف أي هدف أن يستعيد العرب والمسلمون دورهم الحضاري المفقود.

إشكالية ظهور عصر النهضة العربي:

تظهر مسألة البداية الزمنية لعصر النهضة مسألة خلافية، فقد يبدو مما هو متداول ان عصر النهضة العربي يعود ببدايته الى زمن مايسمي بالصدمة الحضارية التي احدثتها الحملة النابليونية على مصر الا انه في الحقيقة فإن هذا ليس إلا مجرد راي من بين أراء اخرى واذا كان علينا ان نجمل الاراء المختلفة في هذا الشان فسنكون في الواقع في مقابل اراء اربعة بينها هذا الراي المشار اليه:

ـ الراي السالف الذكر الذي يؤكد ان بداية ظهور وتشكل عصر النهضة يعود الى بداية

الحملة الفرنسية على مصر نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر اي بالتحديد منذ تاريخ 1798 الى تاريخ1801 وانما يشار الى الدور التاريخي لهذه الحملة من زاوية انها لم تكن حملة عسكرية صرفة بل كانت بالاضافة الى ذلك حملة ثقافية وعلمية فنابليون الذي كان يقودها قد رافقه الى جانب عساكره المدججين بالسلاح فريق من الاختصاصيين العلميين في العلوم المختلفة كالكيمياء والطب والهندسة وغير ذلك وكانت له اعمال منها انشاء الدواوين الادارية الحديثة واصدار التشريعات التنظيمية للمجتمع بالاضافة الى تاسيس المجمع العلمي المصري على غرار المجمع العلمي الفرنسي وبناء المتحف المصري واقامة المرصد الفلكي وانشاء الجريدة المعروفة بجريد **le Courrier d'Egypte**. وممن يميلون الى هذا الراي الجابري لكن وبالاخص البرت حوراني فهو قد نبه فيما يذكر الى اثر تلك الحملة على الواقع العربي مبكرا

ـ الراي الثاني يرى ان البداية النهضوية هي نتيجة تحول داخلي حصل منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر وهناك من يرى ان تلك البداية تعود بجذورها الى تغيرات شهدها القرن الثامن عشر وذلك بالاستناد الى اثر ماحدثه بعض علماء المسلمين في مجتمعاتهم كمحمد بن عبد الوهاب والامام الشوكاني اليمني ومرتضى الزبيدي وغيرهم الذين عملوا على احياء الثقافة العربية والاسلامية واعادة الثقة بتراث ومرجعية العرب والمسلمين وممن قال بهذا محمود محمد شاكر وبيتر جران .

ـ الراي الذي يرى ان هذه البداية تعود الى د عوة اليقظة التي احدثها جمال الدين الافغاني الدعوة التي بسببها ظهرت الحركة الإصلاحية الاسلامية ويذهب الى هذا من الدارسين مالك بن نبي وآخرون.

.الراي الذي يرى ان النهضة العربية ممتدة في الماضي وبالتحديد ممتدة الى عصر ابن خلدون ويقود هذا الراي من الدارسين فهمي جدعان من منطلق ان النظرة الحضارية لقيام الدول وسقوطها قد تكررت في الأزمنة الحديثة عند أعلام النهضة العربية.

وعلى اية حال وكما هو ظاهر فإن مسالة البداية الحقيقية للنهضة مسالة خلافية وان كان يمكن القول عموما ان النهضة واية نهضة هي حصيلة تراكمات تاريخية وهذه التراكمات في الحالة العربية يمكن الوقوف عليها من عناصر اجتماعية واقتصادية وسياسية أي من شروط معينة وهذه الشروط قد تمثلت في ضعف الدولة العثمانية وما اقتضى ذلك من اصلاح تعليمي واقتصادي وقانوني وما تبع ذلك كذلك من تاثير ثقافي واقتصادي للدول الاروبية في الولايات العربية الى جانب ماقد اصبح هناك من توجه تجديدي ديني. ولكن من الناحية الزمنية يمكن القول ان النهضة قد بدات تتجلى منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى مابعده حيث بدات تظهر الحركية الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ـ اطار المكاني للنهضة : تشير اغلب الدراسات ان المركز الرئيسي للنهضة العربية هي مصر وهذا ان كان له مايؤيده فان الاطار المكاني لهذه النهضة لايقتصر عليها او يتحدد بها فقط بل يشمل فضلا عنها اماكن اخرى في سوريا ولبنان وتونس فهذه الاماكن بحكم موقعها كانت على تماس مع تحولات الدولة العثمانية وتحولات الدول الاروبية التي كانت تطمح الى توسيع نفوذها ثقافيا واقتصاديا. وعندما تذكر مصر كمركز اشعاع نهضوي فلأنها قد اصبح لها كيان سياسي يقود هذه النهضة ويوجهها وهو الذي تمثل في قيادة محمد علي باشا فحكمه كان قد توسع الى مناطق الشام ونتجت عنه اعمال نهضوية من مثل انشاء المدارس ونشر المعرفة .

ملاحظات:

ـ اذا كان قد ظهر مما سبق الاختلاف في بداية النهضة فان هذا الاختلاف ينسحب ايضا على نهايتها فمن الكتاب من يرجع نهايتها الى نهاية القرن التاسع عشر ومنهم من يرى انها قد ظهرت قوية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم تراجعت وبرزت بعد ذلك في القرن العشرين وبالضبط في العشرينات والثلاثينات منه ومنهم من يؤرخ لها كهشام جعيط بثلاث حقب او نهضات هي على التوالي حقبة القرن التاسع عشر وحقبة العشرينات والثلاثينات وحقبة الثمانينات من القرن العشرين.

ـ اذا كان يكثر استعمال كلمة النهضة للدلالة على التغيرات التي عرفتها الساحة العربية في ذلك الزمن فإن هذه الكلمة لم تستعمل بشكل مقصود عند الرواد الاوائل وانما ماكان مستعملا لديهم هي كلمات مقاربة كإستعمال كلمة الإنبعاث والإحياء والتجديد والترقي والتمدن والتقدم . وأول من استعملها للدلالة على هذه الحالة هو (أنيس زكريا نصولي) في عشرينات القرن الماضي ثم تبعه (سلامة موسى) بعد ذلك بإعطائها بعدها النظري على انها توجه الى الامام الى الحاضر والمستقبل وليس الى الماضي .

ـ اذا كان هذا المصطلح قد اضحى غالبا لصيقا بفترة القرن التاسع عشر ومابعدها الى فترة العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي فلأنه مصطلح في دلالته قد عبر عن اشكلات تلك المرحلة ولهذا فان هذا المصطلح عندما يستعمل فهو يستعمل بالمعنى المفهومي المتواصل أي بمعنى انه سؤال يفرض نفسه في الحياة العربية باستمرار .

مظاهر النهضة العربية:

عندما نقف على تفصيلات نشوء وتكون النهضة العربية تصادفنا مجموعة من المظاهر نحددها في الآتي:

ـ المظهر السياسي/ وقد تمثل هذا ببروز شخص محمد علي وبعض بنيه كالخديوي اسماعيل

فمحمد علي قد عمل على محاولة الاستقلال بمصر وتقويتها ومد نفوذها الى الخارج وفي هذا الشأن يذكر انه قد قام بعدة اصلاحات عسكرية واقتصادية وثقافية، منها تنظيم الجيش عل النمط الحديث وتجهيزه بالمعدات الحديثة وتاهيل الاطارات المحركة له واقامة المصانع المنتجة لاحتياجاته. وليس هذا مقتصرا على مصر فكذلك في بلاد تونس وبلاد الشام فقد اتجهت الاحداث الى محاولة اعتماد التنظيم الدستوري كما حصل في تونس في عهد محمد الصادق باي او قبل ذلك بوجود عهد الامان في عهد محمد الباي او في وجود الاصلاحات التي اقدمت عليها الدولة العثمانية في نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر .

ـ المظهر الاقتصادي : وقد تمثل هذا في احداث الاصلاحات في الميدان الزراعي والسعي الى انشاء المصانع والانفتاح على التبادل التجاري وقد كان هذا بشكل خاص من اكثر معالم حكم محمد علي في مصر لكن يمكن القول بشكل عام ان الحالة الاقتصادية في تلك الفترة سواء في مصر اوغيرها كبلاد الشام وخاصة في الميدان الزراعي قد اتجهت الى التصرف في ملكية الاراضي على اساس مايمكن ان تؤدي اليه من اشباع اقتصادي او مايمكن ان تؤديي اليه من ثروة وهكذا فقد حصل أنه نتيجة هذه الاصلاحات قد ظهرت اشكال التمدن الحديثة كانتشار التعاملات النقدية وظهور الفئات الاجتماعية وظهور العمل المأجور والتوسع العمراني والتجاري أي بشكل عام ظهور ملامح الحياة الرأسمالية الحديثة وماتعنيه من اختلاف عن القديم .

ـ <u>المظهر الاجتماعي</u>: وقد تمثل هذا بشكل بارز في ازدياد عدد السكان وتحسن معيشتهم سواء من جهة توفر السلع الضرورية او من جهة توفر فرص العمل او من جهة توفر اماكن الرعاية الصحية والتعليمية كما قد تمثل هذا من ناحية اخرى بظهور القيم والافكار الجديدة سواء تلك التي حملها الاجانب المتوافدون او تلك التي عكسها بعض العرب باحتكاكهم الثقافي بالاروبيين داخليا وخارجيا / داخليا من خلال تعاملهم معهم وقد اضحت لهم مكانة ثقافية واقتصادية، وخارجيا من خلال الإقامة في ديارهم من اجل العلم او التجارة او السياحة كما قد تمثل هذا المظهر ايضا بظهور التوسع العمراني والتنظيم الاجتماعي والقانوني كما قد تجسد ذلك باصدار التشريعات واستحداث المحاكم هذا فضلا عن وجود الهجرة من الريف الى المدينة والتغيير في مظاهر اللباس وعادات الاكل والشرب وبروز دور المراة.

<u>المظهر الفكري:</u> يتجلى هذا المظهر خاصة في بروز الحس الوطني والقومي والديني والدعوة الى التجديد عموما سواء بادخال التجديد في الثقافة الاسلامية او تبني الافكار الاروبية خارج هذه الثقافة كما يتجلى هذا الامر وبشكل ملفت في انقسام النخبة المثقفة الى اتجاهات متاينة كالانقسام الى تيار الجامعة الاسلامية او الانقسام الى تيار الرابطة العثمانية او تيار القومية العربية وعلى اية حال فان هذه المرحلة كالحال في مصر قد

شهدت تراجع دور الازهر وتعليمه الديني والتراثي لصالح التعليم المدني كما شهدت ايضا وكنتيجة لذلك الازدواجية في مصادر الثقافة فلم تعد الثقافة الاسلامية هي المرجع بل اضحت بالاضافة اليها الثقافة الاجنبية هي المرجع ويمكن القول ان هذا الامر قد كان من تداعياته الصراع القيمي بين الجديد والقديم او التنافر بين الثقافة الاسلامية والثقافة الاروبية ولعل ما عكس هذه الوضعية بوضوح الخطاب الثقافي للصحافة انذاك حيث اخذت الافكار اللبيرالية المختلفة تعبر عن وجودها ومكانتها في مقابل الافكار التقليدية بالتأكيد على الوطنية و الحرية و العدالة والعلم وما الى ذلك.

وبناء على هذا يمكن ايجاز عوامل النهضة في الاتي :

ـ الاحتكاك بالاروبيين ثقافيا واقتصاديا وعسكريا.

ـوجود الاصلاحات العثمانية واتاحتها المجال لوجود المدارس والجمعيات والصحافة.

ـ وجود الطموح السياسي لدى بعض الحكام لتقوية حكمهم ومد نفوذهم كما هو مثال محمد علي

ـ التاثير الاروبي واتجاهه نحو السيطرة الاقتصادية والثقافية .

ـ ضغط الواقع الداخلي واستلزامه التغيير كما تمثل ذلك بوجود حركات التجديد الدييينية ووجود القوى الاقتصادية والاجتماعيةة الناهضة.

على انه اذا كان من تجليات النهضة العربية التجلي الثقافي وهو مايعنينا في التعرف على النهضة الفكرية واتجاهاتها فلاباس هنا من الوقوف على ذلك بشيئ من التفصيل .

<u>الحياة الثقافية النهضوية:</u>

ـ ظهور الاتجاهات الفكرية واحتدام الجدل بينها.

ـ انتشار الانتاج الادبي والعلمي .

ـ بروز طبقة النخبة المتعلمة

ـ ظهور المبادرات الى انشاء الجمعيات واقامة الندوات الادبية والعلمية

المحاضرة الثانية:

<u>تمهيد :</u>

بما ان الاصل في النهضة ان تدل على يقظة ووعي وتدل على حركة وفعل وان هذا ممّا يتجسّد عموما بالسعي الى الخروج من وضع الى وضع والانتقال من حال الى حال

هو الحال الافضل فإن السؤال الذي يطرح نفسه عندئذ هو ماذا كان جوهر الخطاب الثقافي العربي وهو يواجه واقعه المتردي في القرن التاسع عشر ؟ وماذا كانت انشغالاته وقضاياه حينئذ؟

ان مايساعد في الواقع على الاجابة عن السؤالين المطروحين اعلاه مقولة كان قد ذكرها الشيخ حسن العطار وفحوى هذه المقولة مايلي: (ان بلادنا لابد ان تتغير احوالها ويتجدد فيها من المعارف ماليس فيها) (الخطط التوفيقية علي مبارك ص38) والحق ان الشيخ العطار عندما يقول هذا الكلام فلأنه ادرك الفارق بين ماوصل اليه الاروبيون من تقدم وما اضحى عليه المصريون والعرب من انحطاط وتخلف وهو الذي وقف على الصورة الحضارية لحملة نابليون على مصر . عندما اتيحت له الفرصة للتعرف عليها فقد ذكر انه عندما تعرف على علماء تلك الحملة تعرف على الات فلكية وهندسية وتعرف على كتب رياضية وادبية لهم بما يعني انها لم تكن موجودة ومعروفة للدارسين آنئذ ويشير علي مبارك في خططه بوصف في غاية الدلالة أن ذلك الوجه من التقدم كان يثير لديه الاعجاب الكبير الاعجاب بما وصلت اليه الامة الفرنساوية والاعجاب بقيمة تلك العلوم والمعارف.

واذا كان ماينكشف من كلام الشيخ العطار هذه الأمور الثلاثة وهي :

ضرورة التغيير وضرورة الإهتمام بالعلوم الجديدة ووجود الاعجاب والدهشة مما وصل اليه الفرنساوية فإن هذه الامور مما تدل على قضية بل على هاجس وهذا الهاجس ليس في المحصلة الاّ هاجس التقدم . والواقع انّ مايعزز من اهمية هذا الهاجس انه الهاجس الذي طبع تاريخ النهضة العربية بعد الشيخ العطار الذي لم يكن كما يوصف الا منبها وحاثا عليه سواء بتاثيره على محمد علي او تلميذه رفاعة الطهطاوي (الشيخ حسن العطار ص76)

مركزية سؤال التقدم في فكر النهضة :

يظهر هذا السؤال منذ الانطلاقة الاولى للنهضة فقد تجسد عمليا بما دشنه محمد علي من اهتمام بالمعارف والعلوم الحديثة وانشاء للمدارس وابتعاث للطلاب الى الخارج و تغيير في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية واستقدام للأجانب للاستفادة من خبراتهم وتجسد فكريا بما ظهر من اهتمام وتامل في حال الامة من تخلف وانحطاط لقد كان هذا من طرف الشيخ العطار في اول الامر و كان ايضا وبشكل بارز من طرف تلميذه رفاعة الطهطاوي . فمما يذكره استاذه الفرنسي الاستاذ جومار أن الشيخ رفاعة قد ابدى اسفه لما راى بلده ادنى من بلاد اروبا في العلوم البشرية والعلوم النافعة وانه قد اراد بكتاباته ان يوقظ فيهم محبة تعلم التمدن الافرنجي(اسس التقدم 118) وهذه الرغبة التي ظهرت مبكرا في

تجربة محمد علي وهذين العلمين هي ماترددت لاحقا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في السؤال الملح سؤال لماذا تأخر المسلمون وتقدم الاروبيون؟ وكما يقول احد الدارسين هو السؤال الذي قد مثل مشتركا جامعا بين اصلاحي المشرق والمغرب أي سواء عند الطهطاوي او محمد عبده او الافغاني من المشارقة او خير الدين او ابن ابي الضياف من المغاربة (الاتحاف في نشاة الوعي الاصلاحي في القرن التاسع عشر عز الدين العبيدي ع211 س2011) وهذا مايمكن ادراكه في الحقيقة واضحا من هذه الصيغ كصيغة سؤال سليم البستاني لماذا نحن في تأخر؟ وصيغة سؤال عبد الله النديم بما تقدموا وتأخرنا؟ او الصيغة المشهورة سؤال شكيب ارسلان لماذا تقدم الغرب وتخلف الشرق؟ (الحرية والتمدن في فكر فرانسيس المراش الحياة الثقافية ع232 س2012ص50)ولما كان هذا يستدعي التعرف على ما يحيل اليه هذا السؤال او صيغه من المهم التوقف عندئذ على ماكان يعنيه مفهوم النهضة

مفهوم النهضة: مايعبر عن كلمة النهضة في تلك المرحلة كلمات بذاتها ككلمة التمدن وكلمة الترقي وكلمات اخرى كالتقدم والتنبه ولكن بوجه خاص فان اكثر ما اقترنت به كلمة النهضة انذاك هي كلمة التمدن وقد ظهرت بخصوص هذه الكلمة عدة اراء لاتخرج في دلالتها عن تقدير مفهوم التمدن بالجانب المعنوي والمادي. واذا ضربنا لذلك امثلة فاننا نجد ان الشيخ بطرس البستاني يضع تلك الكلمة في مقابل التوعر اوالتوحش أي في مقابل انها طور من التقدم الفردي والاجتماعي يجتمع فيه الخلق والعلم والعادات الاجتماعية الراقية(ماجد فخري الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون في عصر النهضة ص 25،26) ولايختلف هذا عن مايذهب اليه الشيخ رفاعة الطهطاوي فبالنسبة اليه كذلك فالتمدن هو تهذيب اخلاقي بالاداب الدينية والفضائل الانسانية وهو الى جانب ذلك تعميم للمنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال(الطهطاوي الاعمال الكاملة 1، ص308،309) وكذلك هو راي فارس الشدياق الذي يراه جانب العلوم والمعارف والفنون وجانب الصنائع والحرف وجانب التادب والتظرف والتكيس والبشاشة (قراءة في خطاب عصر النهضة، ص14 مجلة الكرمل) وهذا في الواقع قد كان قاسما مشتركا بين رواد النهضة العربية مسلمين ومسيحيين لكن الامر لم يتوقف عند هذا الحد اذ يمكن ملاحظة ان مفهوم التمدن عند الجانبين قد اقترن ايضا بدور الدين فبطرس البستاني يجعل من مقومات التمدن الصحيح التمسك بالدين المنزل الخالي من الشوائب(ماجد فخري ص26) والامر نفسه عند الطهطاوي الذي يؤكد على اهمية الشرع في بنية التمدن. والحق ان التمدن قد اخذ مفهوما واسعا متجاوزا الجانب الفردي والاجتماعي الى الجانب السياسي ومايعنيه ممن حسن ادارة ومعاملة(ماجد فخريي ص26، 27). و يمكن اختصار هذه الرؤية اجمالا في العناصر التالية:

ـ ان التمدن هو جانب مادي ومعنوي

ـ ان التمدن ليس مستقلا عن الدين بل هو مقوم اساسي فيه

ـ ان التمدن هو حكم سياسي رشيد

ـ ان التمدن هو تعايش مدني

ومن المناسب القول ان الرواد النهضويين قد كانوا منتبهين الى سلبية التمدن الزائف الناتج عن مجرد التقليد ولهذا فهم عندما ابانوا عن تلك الرؤية قد فرقوا بين جوهر التمدن ومظهره ووجه التفريق هنا هو ان التمدن هو الضد المنافي للسلوك المنحرف والتفكير المنحرف سواء كان عند الشرقيين او عند الاروبيين (الشريف قراءة في خطابب عصر النهضة ص15)أي بمعنى هنا انهم قد لاحظوا سلبيات المجتمع الاروبي وحذروا منها.

اسباب النهضة عند الاروبيين:

ان ثمة فكرة كثيرا ماتتردد عند الدارسين وهي ان النهضة العربية بالرغم من انها قد استندت الى تاثير مجموعة عوامل إلا أن تأثير العامل الخارجي كان من ابرزها فهذا التأثير كما يظهر كان يسري في فضاء الدولة العثمانية خفية وعلانية فعلاقة هذه الدولة بالدول الاروبية وخاصة الفرنسية والانجليزية كانت علاقة سياسية واقتصادية ومن اثر هذه العلاقة كما تعرفت الدولة العثمانية على تقدمهما الاقتصادي تعرفت على تقدمهما السياسي ان مايذكر في هذا الصدد ان الدولة العثمانية قد خاضت مجموعة اصلاحات ومنحت امتيازات لاكثر من دولة اروبية واستفادت من قروض مالية وتغلغلت فيها الافكار اللبيرالية والقومية (محمد الجندي مجلة الممعرفة ع414 النهضة والنهضوية،ن ص23) وفي اطار هذا الجو من الاحتكاك كان الاثر على المنطقة العربية التي كانت خاضعة لها لكن هذه المنطقة قد كان لها ايضا احتكاكها الذي حصل خاصة من طرف الفرنسيين وبالتحديد من طرف الحملة النابليونية التي عدت كما قيل حملة منبهة او حملة قد مارست فعل الصدمة (محمد عمارة الاستقلال الحضاري، ص61) وانطلاقا من ان الاحتكاك يؤدي الى اكتشاف النواقص بالمقارنة مع الاخر ويجلب الانتباه الى اسباب التقدم والتأخر فإن مايمكن تسجيله في موقف النهضويين العرب هو انهم قد اجمعوا ان البلاد الاروبية قد غدت في زمانهم بلادا متمدنة أما السبب في ذلك فقد ارجعوه الى عدة امور نعرض لها ههنا وهي:

ـ ان التمدن الاروبي هو من ثمرة عنايتهم بالعلم ويمكن هنا ان نسوق راي علي مبارك الذي يقول :

ـ ان التمدن الاروبي هو من ثمرة انتفاع الاروبين بما في البلدان الاخرى من علوم

وفنون(خير الدين التونسي، اقوم المسالك، ص60)

- ان التمدن الاروبي قد قام ممنهجيا على حرية البحث والتفكير(الطهطاوي تخليص الابريز - ص 41)

- ان التمدن الاروبي قد قام على نسبية المعرفة ومحاولة تخطي الذوات وماوصل اليه اسلاف (تخليص الابريز- ص85)

- ان التمدن الاروبي قد قام على الحرية (خير الدين اقوم المسالك ، ص211)

وايا يكن فان عبد الله النديم قد اشار بشكل جامع الى اسباب التمدن الاروبي ولخصها بما لايكاد يختلف عن اتجاه الاعتقاد بها عموما وهي على النحو الاتي:

- توحيد اللغة في الدولة، توحيد السلطة، توحيد الجامعة الدينية، اقامة المعاهدات وتنظيم علاقات بعضها ببعض. وهذه كما يرى اسباب رئيسة ولكن الى جانبها هناك اسباب فرعية يذكرها وهي: اطلاق حرية الفكر والكتابة، تجميع رؤوس الاموال في شركات ومؤسسات وحمايتها من المنافسة الخارجية، تشيع التنافس والابتكار في ميدان علم التمدن المدني لتحسين الوضع المجتمعي. تعميم التعليم وتوحيه وفرضه. اقامة المجالس السياسية والتنظيمية لمنع الطغيان. اقامة المؤسسات لاهل الفكر والعلم(عبد الله النديم تح محمد عمارة ص95-97) ولعله يمكن ان نلاحظ ان ثمة وعي بان للتقدم اسبابه الموضوعية وسننه الطبيعية التي تحققه فلايكون هناك من تخلف الا التخلف عن هذه الاسباب وهو ماكان من اهمال الامة العربية والمسلمة.

<u>اسباب تاخر العرب و المسلمين:</u>

يتفق الرواد النهضويون على تخلف البلاد العربية والاسلامية وهم اذ يتفقون على ذلك يرجعونها الى اسباب متعددة اسباب سياسية تارة واسباب اخلاقية ودينية تارة اخرى وهذا طبعا على اختلاف في المرجعيات التي يستندون اليها ويمكن تحديدها في الاتي :

- فساد الحكم والاحوال السياسية (رفاعة الطهطاوي ، تخليص الابريز، ص) (خير الدين التونسي ، اقوم المسالك، ص) اوفساد السياسة على راي محمد عبده() والمثال في ذلك خضوع الحكم السياسي للارادة الشخصية وليس الى الشرائع كما يرى شبلي شميل (ماجد فخري الحركات الفكرية ص50) ومن الملاحظ ان هذا الفساد قد حدا الى الاعتقاد انه اصل للفساد الاجتماعي اللفردي والجماعي (الكواكبي طبائع الاستبداد ،ص140)

- الدور الاروبي الخارجي ومايقوم عليه هذا الدور من وجود اطماع سياسية واقتصادية (ماجد فخري الحركات الفكرية، فرح انطون ص50)

ـ قلة العلم وثقل الوهم والعصبية والاسفاف في العلاقات الاجتماعية(ماجد فخري،الحركة الفكرية ، شبلي شمييل ص50 ،51) او كما قال فرح انطون وجود الجهل والفساد والانشقاق الداخلي(الحركات الفكرية49) او كما راى سليم البستاني وجود التعصب العرقي والديني (ماجد فخري ص38)

ـ طبيعة بلاد الشرق الجغرافية وطبيعة ثقافة الناس الادبية والاجتماعية(ماجد فخري، الحركات الفكرية، شبلي شميل ص50،51) التي جعلتهم مثلا في راي فاررس الشدياق يستخفون بالتجارة والصناعة ويتنكبون عن الاساليب الصحيحة في تعلم هذه الفنون (ماجد فخري، ص39)

ـ افتقاد السعي الى التغيير (عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص93)

ـ انحراف الاساليب المتبعة في تربية النشء كما يرى الشدياق (ماجد فخري الحركات الفكرية، ص40)

ـ تسرب الافكار الهدامة من دهرية وباطنية كما راى الافغاني (ماجد فخري ، الحركات الفكرية ص41)

ـ اهمال دور المراة كما راى فرح انطون (ماجد فخري ،ن الحركات، ص49)

ـ الانحراف الديني وهذا يمثل له كما راى الكواكبي بتحييد الدين عن رسالته وتصدر رجال دين جاهلين ومتعصبين (عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص53)

وعلى كل حال فانه مما تجدر الاشارة اليه ان شكيب ارسلان قد لخص اسباب هذا التخلف في هذه العناصر التي لايخرج عنها الموقف السابق وهي :الجهل وفساد الاخلاق والعلم الناقص والجبن والهلع والجمود والجحود وفقدان الثقة بالذات (شكيب ارسلان لماذا تقدموا وتاخرنا، ص43)

على انه ينبغي ملاحظة عدة امور ان هذه الاشارات لم تكن لتخطئ سلبيات المدنية الاروبية ولا لتتغافل عن ايجابيات العرب والمسلمين او في عبارة اخرى لم تكن لتتغافل عن ايجابيات مقومات هويتهم وخصوصياتهم الحضارية . ان الاتجاه المشهود في هذا انهم قد انتقدوا المدنية الاروبية واشادوا في الآن نفسه بتاريخهم وتراثهم ودينهم مع تفاوت طبعا في النظر وهذا على الأقل بالنسبة لاهم الاعلام ويمكن تقريب ذلك بالنسبة الى الموقف من المدنية الاروبية على النحو الآتي:

ـ الاشارة الى وضعية التردي في المادية والفساد الاخلاقي (فرح انطون الحركات الفكرية، ص49

ـ النظر الى النموذج الاروبي بعين النسبية وليس بعين الكمال. انطلاقا و كما يشير فارس الشدياق الى وجود المخبأ من اللامعقول والمنحرف أي بمعنى انه ليس كل الاروبيين متمدنين (فارس الشدياق كشف المخبا ص112-120)

ـ التحذير من التقليد الاعمى للأروبيين(سليم البستاني ماجد فخري، الحركات الفكرية ، ص37) (احمد فارس الشدياق كنز الرغائب، ص54)

ويمكن تقريب ذلك بالنسبة الى الموقف من الانا على النحو الآتي:

ـ الافتخار بالماضي العربي والاسلامي

ـ تمجيد الهوية العربية الاسلامية

ـ الاشادة بقيمة العقل العربي الاسلامي

انشغالات الفكر النهضوي العربي:

ان ادراك الواقع المتردي للأمة العربية بالمقارنة مع الواقع المتمدن للامم الاروبية قد فرض على المثقفين العرب آنذاك الانشغال بعدة موضوعات ومن هذه الموضوعات يمكن ان نشير إلى مايلي: شرعية او عدم شرعية الاقتباس من الاخر، علاقة الماضي بالحاضر التعامل مع اسس التمدن الحديث(قراءة في خطاب عصر النهضة الكرمل ع65 سنة 2000 ص20-24

أ- مسألة الاقتباس: ظهرت هذه المسألة من خلال معالجة سؤال مشروعية او عدم مشروعية الاخذ عن الآخرين المخالفين في الملة ومن الملاحظ أن الطرح في هذه المسالة قد اخذ عدة اوجه وجه الاعتقاد بان الشرع لايعارض الاقتباس في حد ذاته ووجه التمييز بين النافع والضار ووجه الاشادة باهمية التثاقف الحضاري قديما وحديثا ولعل مايوضح هذا اكثر الموقف الذي ابداه خير الدين التونسي فقد بين ان الاقتباس من الاخرين هو اقتباس مشروع لايجب اهماله وانكاره ويمكن بيان موقفه في هذه النقاط التالية :

- ان الاعتقاد بالانحراف الديني للآخرين ليس مبررا لمنع الاقتداء بهم في المصالح الدنيوية .
- ان الامم الافرنجية اقتدت ومازالت تقتدي بما عند غيرها .
- ان الاصل في الدين ان مايوافق الادلة ولايعارضها هو جائز (اقوم المسالك ص12)
- ان التمدن الاروباوي تمدن قد تدفق سيله في الارض لايمكن النجاة من

اخطاره الا بالاقتداء به(اقوم المسالك ص74)

والحاصل ان مادفع الى اثارة مسالة الاقتباس هو وجود الحذر من كل ماهو اروبي بسبب الارث التاريخي للصراع بين العرب والاروبين و وجود الغفلة عن مدنيته المتنامية عند اهل السياسة والدين ولكن لما اصبح هذا الامر امرا معيقا فقد اصبحت مسالة الخروج من هذا الوضع مسالة ملحة لتغيير الاوضاع وعلى ذلك فقد تم تناول هذا الموضوع بناء على هذه العناصر ان المدنية امر غير مستقر قد كان للمسلمين منه حظ ثم انتقل الى غيرهم وان الدول تتبادل المنافع بين بعضها البعض وان التمدن الاروباوي قد اصبح منتشرا لايرد(قراءة في خطاب عصر النهضة ص19) واذا كان هؤلاء كخير الدين كما اشرنا قد ذهبوا الى ان الاقتداء بالغير اقتداء لايعارضه الشرع فانهم في المقابل قد اكدوا على مشروطية هذا الاقتداء وذلك بان لايكون اقتداء في العادات والاخلاق كما قال علي مبارك (محمد عمارة علي مبارك ،ص163،162) او ان يكون اقتداء في العقائد المنحرفة كما قال الطهطاوي، كالاقتداء بهم في التحسين والتقبيح العقلي بعيدا عن الدين(). ولم يكن هذا الموقف موقفا للنهضويين المسلمين فقط بل كان موقفا للنهضويين المسيحين ايضا كما نجده ذلك عند سليم البستاني(قراءة في خطاب عصر النهضة، ص22) .

ب ـ علاقة الماضي بالحاضر: شغلت هذه المسالة الاهتمام من باب الحاجة الى تبني الخيار المناسب امام التحدي الحضاري الاروبي أي في اطار سؤال كيف يكون التعامل مع واقع المدنية الاروبية؟ ذلك لان هذا الواقع كان يفرض الخضوع الى مبادئه وقيمه وفي هذا الشأن من الملاحظ أن المواقف عند كبار النهضويين العرب والمسلمين قد كانت تتجه الى الاحتماء بالماضي وفي الوقت نفسه كانت تتجه الى عدم تجاهل انجازات النهضة بالاروبية ان هذا الامر يمكن الوقوف عليه في الاتي:

ـ اعطاء اهمية معتبرة للدين نجد هذا واضحا عنده بالاخص عند النهضويين المسلمين كجمال الدين الافغاني(عزت قرني العدالة والحرية في فجر النهضة، ص203) وعبد الله النديم(محمد عمارة، الانتماء االثقافي، ص33) كما نجد ذلك عند النهضويين المسيحيين كبطرس البسستاني/ الا ان هؤلاء عموما كانوا مدفوعين بنزعة علمانية والرجوع الى الدين عند النهضويين المسلمين معناه الرجوع على حد تعبير الامام محمد عبده الى فهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف(محمد عبده الاعمال الكاملة ج2 ص310)

ـ اظهار الوجه المشرق للحضارة العربية الاسلامية/ لقد وجدت قناعة في هذا الشان ان الحضارة العربية الاسلامية حضارة قد اعتنت بالعلم والمعرفة وخلفت تراثا قيما في شتى الميادين ولهذا فقد كانت مسالة النهضة تعني من هذه الجهة السعي الى

احياء هذا التراث ومن تجليات ذلك محاولة احياء اللغة العربية وادابها اما بتهذيب الفاظها او تجديد اساليبها (مسعود بوبو لنشاط اللغوي عند العرب في عصر النهضة ع320- س321 1990 ،13-14)

ـ الافتخار بالتاريخ العربي الاسلامي وموروثه الثقافي ومايؤكد هذا الاعتقاد ان قد كان ثمة ماثر وتقدم عربي اسلامي وان هذا التقدم هو مانسج على منواله على حد تعبير خيرر االدين التونسي تقدمهم وتمدنهم(اقوم المسالك ص35))

ولكن وفي الآن نفسه يمكن ملاحظة ان الركون الى الماضي لم يمنع من الوقوف بالنقد على السلبيات او بالاحرى الوقوف على الاغلال المقيدة لهذا الماضي فقد كان هناك تاكيد على ضرورة الخروج من اسار التقليد غير ان تاثير الفكر المادي وسطوته على البعض قد جعل مسالة المرجعية مسالة خلافية ولذلك كان الراي كما عند شيلي شميل ان على الامة من اجل ان تتقدم ان تتجه الى الحاضر وتفكر في المستقبل(قراءة في خطاب عصر النهضة، ص24) وهذا راي ان كان يعني الايمان النموذج الاروبي فقد وجد من يخالفه

ج ـ التعامل مع اسس التمدن الحديث : لقد ظهرت المدنية الاروبية في صورة نموذج متكامل يغطي كل ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وانطلاقا من ذلك فقد ادى تعاطي النهضويين العرب مع هذا النموذج الى التعاطي مع قضايا ومسائل في اطار اشكالات بحكم الوضع المتردي الذي كان يعاش ومن هذه الاشكالات يمكن الاشارة الى مايلي:

فكرة الوطن والوطنية ، الامة والقومية ، الحرية ، العدالة والمساواة، المراة ، التربية

ولئن كانت هذه الاشكالات قد برزت فقد اختلفت الاراء حولها بين من يعالجها في اطار الثقافة الاسلامية او من يناقشها في اطار مكتسباته من الثقافة الاروبية وعليه كانت ثمة التوجهات المتباينة .

المحاضرة الثالثة:

تمهيد:

يمثل النصف الثاني من القرن التاسع عشر نقطة تحول كبيرة في تاريخ الأمة العربية وبالأخص تاريخ المشرق العربي ففي هذه المرحلة تهيأت الأجواء للتفاعل الحضاري كما تهيأت الأجواء للنفوذ الاستعماري الذي جثم خاصة على مصر وفي خضم هذه الاجواء ظهرت التيارات السياسية والفكرية كاستجابة طبيعية لهذه التحولات والسؤال الذي يطرح نفسه هنا وخاصة بالنسبة الى الجانب الفكري ماهي هذه التيار الفكرية الّتي ظهرت ؟

ومن هم اعلامها ؟ وماهي توجهاتهم الفكرية ؟ ومانصيبها من التأثير في ذلك الواقع؟

يمكن في هذا الشأن الاشارة الى اتجاهات قد تميزت في هذه المرحلة وكان لها مابعدها الإتجاه الاول هو اتجاه الاحياء الاسلامي والاتجاه الثاني هو اتجاه تيار التمدن الاروبي والاتجاه الثالث هو اتجاه التوفيق وهذه التيارات تبدو اكثر بروزا في الساحة المصرية (رفعت سيد احمد ، التيارات الفكرية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر، مجلة الهلال ع1991) بحكم أنها قد بدات نهضتها مبكرا ولكن واقع هذا التباين ينسحب ايضا على مناطق اخرى كمنطقة الشام ()وتونس في المغرب العربي()

ـ تيار الاحياء الاسلامي:

يعد هذا التيار من ابرز التيارات بالمقارنة مع غيره وذلك بالنظر الى المرجعية الدينية التي يقوم عليها وهذا التيار من حيث الوجود هو تيار عريض وواسع كما يقول الدكتور محمد عمارة فهو يضم فيما يضم شخصيات متمايزة ان في ميادين اهتمامها او في حظها من التجديد او في مقاييس التجديد لديها (محمد عمارة ازمة الفكر الاسلامي ص70) ولعل من الاسماء التي يمكن ذكرها هنا كدلالة على هذا التيار اسم رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وجمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ محمد رشيد رضا وعلي مبارك (المرجع نفسه ص70،71)وبغض النظر عن اختلاف الرؤى والمواقف في هذا التيار فإنه يشترك في جملة مبادئ يمكن تحديدها في الآتي:

ـ الانطلاق من مبادئ وقيم الاسلام كما تجلت من خلال القرآن والسنة

ـ استلهام الثقافة العربية والاسلامية وتبنيها كوجه انتماء حضاري

ـ مراعاة تغير الزمان والدعوة الى الافادة من التقدم الحضاري للآخرين(المرجع نفسه، ص71،72)

ـ الاقرار بالإجتهاد والتجديد في الميدان الديني()

وفي الجملة فإن هذا التيار قدد امتاز بخصوصيات حددها الدكتور محمد عمارة في الآتي:

ـ الدعوة الى التجديد في اطار التواصل مع التراث وعدم القطيعة معه إلا ماكان متخلفا منه.

ـ الدعوة الى التقدم الحضاري في اطار التمييز بين المشترك الانساني العام وبين

الخصوصيات.

ـ الالتفات الى الواقع وعدم اهماله بالرجوع الى الماضي كما هو حال انصار الموروث.

ـ الوقوف موقف الوسط ببين دعاة الموروث ودعاة التغريب في النظر الى الواقع (محمد عمارة ازمة الفكر الاسلامي ص72، 73).

على انه اذا كان هذا التيار تيارا واسعا كما قيل فإن تمثيله بشكل بارز يمكن الوقوف عليه من خلال فكر بعض الاعلام وبالتحديد اعلام من ينتمون الى مايسمى تيار الجامعة الاسلامية تيار جمال الدين الافغاني و محمد عبده والكواكبي (محمد عمارة ، تيارات اسلامية، ص291-294) وحتى يكون من الممكن التعرف على هذا التيار من المهم الوقوف اولا عند فكرة الجامعة الاسلامية

-فكرة الجامعة الاسلامية:

ترتبط هذه الفكرة تاريخيا بوضع كان يعيشه العالم العربي والاسلامي وبالاخص الدولة العثمانية فهي في هذا السياق رد فعل ضد التمزق الداخلي والنزوع الاستعماري الذي كان يهدد الدولة العثمانية وولاياتها وهذه الفكرة في الاصل لها جانبان جانب سياسي وجانب فكري فمن حيث الجانب الأول فهذه الفكرة قد اشتهر بها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي سعى الى دفع الاخطار عن العالم الاسلامي من خلال مبدأي التضامن والوحدة، فما يشهد له في هذا الشان انه ارسل بعثات ورسل الى انحاء العالم الاسلامي من اجل تمتين الاواصر والتصدي للتهديد الاروبي االمتربص ومن حيث الجانب الفكري فهذه الفكرة قد كانت في الواقع مدار انشغال (عبد الرؤوف سنو، مجلة الاجتهاد فكرة الجامعة الاسلامية ص320،321) الكثير من النخب والاتجاهات فهي فكرة مثلا قد دعت اليها في المنطقة العربية الوهابية والسنوسية ولكنها كانت اكثر تألقا ونضجا عند اتجاه جمال الدين الافغاني وزميله محمد عبده ومن ناصرههم /

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة الاصلاح السياسي والاجتماعي التي قادها هؤلاء المفكرين وجعلوا من النهضة اللغوية بوابة لباقي الاصلاحات والتحولات التي تبدأ عبر النصوص الاصلية وهكذا افضت النهضة الى الاعتراف بالاخر المغاير وضرورة الانفتاح على منجزاته والاستفادة من اطروحاته، وهكذا صار الاخر شرطا ضروريا لحصول الوعي بالذات وللتوضيح اكثر نحاول في هذا المقام ابراز اهم الشخصيات الفكرية التي ساهمت في بلورة فكر حداثي يعبر فعلا عن تشكل الوعي العربي /

1/ رفاعة رافع الطهطاوي وتوجهه الليبرالي

رفاعة رافع الطهطاوي (1801/ 1873) من عائلة قديمة توارثت العلوم الدينية، وأقامت في مدينة طهطا في مصر العليا ، التحق بالأزهر للدراسة وتأثر هناك بالأستاذ (الشيخ حسن العطار)أحد علماء العصر الكبار ، كان فضل أستاذه هذا عليه أعظم وأوسع مدى فهو الذي سعى بتعيينه اماما لفرقة من فرق الجيش المصري الجديد ثم اماما لاول بعتة رئيسية أرسلها محمد على باشا للدراسة في باريس ولقد كان تأثير باريس فيه أبلغ تأثير ، ومع أنه جاءها كإمام لا كطالب فإنه قد ألقى بنفسه في خضم الدراسة ، فإكتسب معرفة دقيقة وقد تعرف على شيئ من الفكر الفرنسي في القرن (18) بإطلاعه على (فولتير ، كوندياك، روسو ....)

يعد الطهطاوي من مؤسسي التيار الليبرالي في الفكرالعربي رغم أنه تلقى تكوينا دينيا في بداية حياته حيث درس في جامع الازهر وتمكن من العلوم النقلية لكنه كان غير راض على المناهج المعتمدة في التدريس التي تعتمد على تلقين معارف جاهزة وقد إكتشف كما قلنا سالفا أستاذه العطار تميزه وقدرته على التحليل العقلاني للأمور

إستطاع الطهطاوي إتقان اللغة الفرنسية في غضون مدة قصيرة وتعلم الهندسة والطب والرياضيات وإطلع على عديد الروايات المسرحية فقد أراد أن يكون نظرة شاملة عن مكونات الثقافة الفرنسية هناك، فإتجه لقراءة الفلسفة وهنا بدأ وعيه يتشكل تدريجيا، لكن كان هذا التشكل نقدي، حيث تأثر بكتب ومؤلفات مونتسكيو إذ يعد هذا الأخير من قام بالتنظير للدولة الحديثة من خلال حديثه عن الحقوق الطبيعية والمدنية والسياسية، هذه القيم التي وجدها عند مونتسكيو كانت مجهولة لدى الطهطاوي ومفقودة بمصر وهنا دخل في نوع من المقارنة بين الثقافة السائدة التي تركها بمصر وحالة الرقي والحضارة التي وصلت اليها فرنسا .

لقد رأى الطهطاوي مدى التقدم الذي يعيشه الأوربيون في كافة المجالات، ومن هنا فقد أخذ على عاتقه البحث في الأسباب التي أسهمت في تقدم أوربا سواء كانت هذه الأسباب هي العلم والتقدم التكنولوجي أو سيادة أشكال الحكم التي تقوم على الحرية والعدل .

لقد دعى حسن العطار تلميذه وهو طالب في الأزهر وحبب إليه الأدب والقراءة في مختلف الفنون وتحدث إليه في شؤون الوطن وفيما آل إليه الإسلام فأخرجه من نطاق التقليد إلى فريق المجددين ، وقد تتلمذ في فرنسا أيضا على علماء أفذاذ أمثال (جومار) و قد ترجم قبل عودته إلى مصر اكثر من (12) نصا فرنسيا ما بين رسالة ومقالة وكتاب كما الف كتابه الفذ (تخليص الإبريز من تلخيص باريس) في

صورة بحث إجتاز به الإمتحان النهائي وهو الكتاب الذي اراد به كما يقول اساتذته أنه ((يوقظ أهل الإسلام ويدخل عندهم الرغبة في المعارف المفيدة ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الإفرنجي))

إن من أهم الأمور التي نالت إعجاب الطهطاوي في زيارته لفرنسا هو ظاهرة المسارح ومكانة المرأة في المجتمع الفرنسي، وفي أثناء تواجد الطهطاوي بفرنسا كان محمد على باشا يتابع اخباره من خلال التقارير التي كانت تصله حول شخصية الطهطاوي المتميزة ولما عاد الطهطاوي لمسقط رأسه إنبهر للمرة الثانية، ولكن هذه المرة نتيجة التخلف السائد في المجتمعات العربية وبدأ الطهطاوي في وضع أسس مشروعه النهضوي منطلقا من سؤاله التالي كيف يمكن توظيف قيم حضارة لا دين لها ؟ أو قيم حضارة إستبعدت الدين من السلطة السياسية ؟

لما عاد الطهطاوي عمل في جملة من المدارس فتنبه الى ان الحضارة الغربية جمعت بين البعد العملي والتنظيري، فرأى أنه لا يكفي طرح جملة من الأفكار النظرية لإحداث التغيير، فقام بتأسيس بعض المدارس التي ساهمت بدورها في خلق ديناميكية فكرية متميزة كانت سببا في تشكيل الوعي العربي بضرورة القيام باصلاحات ثورية للاوضاع.

ولقد عين الطهطاوي رئيسا لمدرسة اللغات وكلف بإعداد الطلاب لدخول المدارس المهنية ولكن عمله المهم كان في الترجمة وقد إستطاع أن يضع حوالي 20 ترجمة معظمها لكتب التاريخ والعسكرية ومنها كتاب عن الفلاسفة الإغريق وكتاب تأملات في أسباب عظمة الرومان وإنحطاطهم لمونتسكيو.

لم تكن هذه الأفكار بالنسبة للطهطاوي مجرد أفكار نظرية بل رأى أنه يجب على أمته الإنتفاع بها، ولقد إستطاع الطهطاوي أن يقوم بمشاهدات دقيقة للعالم الحديث، وقد نشر كتاب مهم (تخليص الإبريز من تلخيص باريس) وقد ترجم إلى التركية ، وفي ظل الجهود المتنامية للطهطاوي يمكن القول بأن عمره الفكري حمل إلينا ملامح شخصية فكرية مثلت إحدى الركائز الأساسية لنهضة العالم العربي والإسلامي في الجوانب الفكرية والثقافية، والواقع أن أي قراءة لجهود الطهطاوي الفكرية لا يمكن أن تتحقق إلا في ضوء القراءة الفكرية الواعية التي لا يمكن إغفال سيادة القوالب اللغوية التقليدية في مؤلفاته فهو حين ينقل إلينا مصطلحات الفكر السياسي الغربي يوظف في ذلك لغة السياسة الشرعية فهو يرادف بين الشعب و الرعية وبين القانون والشريعة، وكثيرا ما نجد المصطلحات الفقهية التقليدية زاخرة في مؤلفاته مثل المباح/ المحظور، الكفر/الإيمان، ولا شك أن هذه اللغة ترجع إلى التعليم الديني الذي تعلمه الطهطاوي في الأزهر .

أسس الحداثة عند الطهطاوي / الطهطاوي حين يصيغ إعجابه بقيم الحرية تجده يتمسك بالتقليد موظفا منهجية القياس والمماثلة، أي المماثلة بين الحرية عندهم والعدل والإنصاف عندنا، فيرى (أن ما يسمونه عندهم الحرية، هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف) .

العدل والمساواة/ من المفاهيم المتداولة في خطاب الطهطاوي الفكري مفهوم العدل وقد ماثل الطهطاوي بينه وبين الحرية، ويماثل أيضا بين العدل في الدستور الفرنسي والعدل في الشريعة الاسلامية، وهذا العدل هو سبب عمار المدن والبلاد، ويرى بالمقابل كيف ان الشريعة الإسلامية هي معيار المملكة والسياسة لأن الحكم بهذا معناه الفوز بسلامة الدنيا والآخرة، وينتهي الطهطاوي إلى الإعلاء من قيمة الشريعة الإسلامية على أي قانون وضعي ،ويرى أن تحقيق العدل لا يحدث إلا بمعرفة الحاكم للشريعة .

واذا كان الطهطاوي يدعوا في خطابه الفكري إلى قيم العدالة والمساواة فإننا نجده من ناحية أخرى يكرس في خطابه التصور الشرقي عن الحاكم (المستبد العادل) فيطالب الملك في حالات العفو والعقاب ألا يتجاوز في ذلك الحد حفظا لناموس الشريعة وصونا لحدود الله ويتحدث الطهطاوي عن المساواة بلغة شرعية فيرى ان التسوية في الحقوق ليست الا عبارة عن تمكن الانسان شرعا من فعل او نيل او وضع جميع ما يمكن لسواه من اخوانه ان يفعله شرعا ،ومن المعلوم ان استواء الانسان في حقوقه شرعا يستلزم استوائه مع غيره في الواجبات التي تجب للناس بعضهم على بعض لان التسوية في الحقوق ملازمة للتسوية في الواجبات .

المواطنة / نجد الطهطاوي يتكلم عن المواطنة بانها تعني ثمة حقوق وواجبات متبادلة بين الانسان ووطنه فحين يقال وطنى فمعنى ذلك ان الانسان يتمتع بحقوق بلده واعظم هذه الحقوق الحرية التامة فالطهطاوي يرى ان المواطنة تستلزم على المواطن ان يؤدي واجباته تجاه وطنه وبناء عليه يحصل على حقوقه كمواطن اما اذا لم يؤدي ماعليه تجاه وطنه ضاعت حقوقه المدنية التي يستحقها ومن ثمة فعلى المواطنين الذين يجمعهم وطن واحد التعامل على تحسين هذا الوطن وتحسين المنافع العمومية .

الحرية / لقد تاثر الطهطاوي باجواء الروح الليبرالية التي عاشها في فرنسا وتاثر بحديثهم عن الليبرالية من خلال قراءته لافكار مونتسكيو وروسو وفولتير ...الخ ولكن رغم هذا التاثير فقد حاول ان يصيغهفي قوالب لغوية تقليدية تقع ضمن القوالب اللغوية في علم اصول الفقه والسياسة الشرعية الاسلامية / فحقوق اهالي المملكة المتمدنة ترجع الى الحرية ويتصف كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية بانه حر

يباح له ان ينتقل من دار الى دار وان يتصرف في وقته ونفسه كما يشاء فلا يمنعه من ذلك الا المانع المحدد بالشرع او السياسة.وكان الطهطاوي الى حد ما معجبا بحرية الاعتقاد السائدة في اوربا فراى ان من الاشياء التي ترتبت على الحرية عند الفرنساويين ان كل انسان يتبع دينه الذي يختاره ويكون تحت حماية الدولة . وقد اعجب كثيرا بالدستور الفرنسي حيث يرى ان اهم ما يتميز به هذا الدستور هو تحديده لواجبات وحقوق كل من الحاكم والمحكوم وتاكيده على اهمية تقييد سلطة الحاكم فهو غير مطلق التصرف

لقد قبل الطهطاوي بسلطة الحاكم ولكنه الح ايضا على الحد الذي تضعه له القواعد الخلقية ولكي يشرح الفكرة القائلة بان الشريعة فوق الحاكم يلجأ الى تفريق (مونتسكيو) بين السلطات الثلاث / ومما لاشك فيه ان ما شاهده في فرنسا قد عزز لديه فكرة فرض القيود على سلطة الحاكم غير ان في كتابه (مناهج الالباب) يستمد البرهان على وجوب الحد من ممارسة السلطة من الفكرة التقليدية القائلة بانقسام المجتمع الى مراتب او طبقات لكل منها وظيفة معينة فهو يميز بين اربع طبقات (الحاكم / رجال الدين/ الجنود/ اهل الاقتصاد) وهو يعير اهمية خاصة للطبقة الثانية ولدورها في الدولة .

المحاضرة الرابعة (تابع الاتجاه الاصلاحى عند الطهطاوي)

العلم / عاشت الحياة الثقافية والعلمية في عهد الدولة العثمانية على الشروح للمتون القديمة في الحضارة الاسلامية وكان التعليم السائد يرتكز على العلوم اللغوية والدينية ولم تحتل دراسة العلوم المدنية مساحة واضحة في هذا التعليم ولكن مع محاولة محمد على باشا احداث نهضة تواكب اطماعه ادرك ان نقل التقنية الحديثة في الجيش لا يمكن ان يتم بدون تعليم العلوم المدنية الحديثة التي انتجت هذه التقنية ولهذا ارسل محمد على البعثات وجلب العديد من العلماء الاجانب وحاول الطهطاوي تصوير اهمية هذا الامر وتبريره من الناحية الشرعية فيقول (سارع محمد على باشا في تحسين بلاده فاحضر فيها ما امكنه احضاره من علماء وبعث ما امكنه بعثه في مصر.... فان علماءها (اوربا) اعظم من غيرهم في العلوم الحكمية)وقد وجدنا مثل قائل (الحمة ضالة المؤمن بطلبها ولو في اهل الشرك)

يحاول الطهطاوي من خلال منطلقاته الدينية وعقيدته الشرعية تبرير النقل عن الاخر من خلال النص القراني فيقول (ومن يؤت الحكمة فقد اتى خيرا كثيرا) وقد فسر العلماء الحكمة بانها العلم النافع والعلم هنا هو العلوم النظرية والعلمية وقد اظهر الطهطاوي ان نظام التعليم في الازهر يعتمد على اتقان العلوم الشرعية واللغوية ولم يجذب طلابه الى تكميل عقولهم بالعلوم الحكمية /

على الرغم من سعي الطهطاوي الحثيث الى نقل مكتسبات العلوم الغربية والتعلم منهم الا انه كان ينظر دوما الى الغرب نظرة دينية معيارية فهم ليسوا اهل نجاة وهداية ولكن ينبغي ان نتعلم منهم العلم المدني وفقا لمنطق المصلحة .

بالرغم من اهتمام الطهطاوي بالعلوم في تقدم العالم العربي الا ان نظرته كانت نظرة اعلاء للعلوم الدينية على انها ارفع العلوم من منطلق اعطاء الاولوية للنقل على العقل وللديني على المدني ولعل هذا ما يفسر مدى التقدم الكبير الذي احرزته الحضارة الاسلامية في مجال العلوم الدينية واللغوية بما لا يقارن بالاسهام المحدود الذي قدمه العرب في مجال العلوم المدنية.

إستنتاجات /

بدا الطهطاوي مشروعه بجملة من التساؤلات منها كيف نستمر في قيم حضارة لادين لها ؟ وكيف تتمدن المجتمعات ؟ وكيف تنهار المدائن؟ من خلال هذه الملاحظات الدقيقة للمجتمع الفرنسي اكتشف الطهطاوي ان السر يكمن في تاسيس الدولة الحديثة التي تقوم على مبدأ الحرية والمساواة والتداول على السلطة وحرية النقد ولكن الثقافة التي ينتمي اليها الطهطاوي لا تسمح له بطرح هذه الافكار دون اعادة تشكيل الوعي لهذا لجأ الى جملة من الاليات التالية

تحديث البرامج التعليمية لان المدرسة العربية تستند الى مناهج كلاسيكية لا ترقي لروح العصر الراهن وكان مبرر الطهطاوي ان الفعل لا ياتي الا من خلال تشكل الوعي لان الانسان العربي كان يجهل طبيعة الحقوق سواء كانت الحقوق الطبيعية او السياسية او المدنية وباعادة تشكل وعي الافراد ليصبح قادرا على رفض كل مظاهر الاستبداد والطغيان

ومنه كانت دعوة الطهطاوي الى تاسيس دولة حديثة تمر عبر اعادة تحديث البرامج التربوية وعقلنة الحياة الثقافية في المجتمع وتحرير المراة من قيود العادات السلبية وارجاع مكانة المراة العربية / لكن هل نجح الطهطاوي في احداث تغيير ؟ وهل وضع اسس النهضة ؟هل كان مشروع الطهطاوي تنويري او تغريبي ؟ وهل كان مشروع الطهطاوي مجرد محاكاة للحداثة الفرنسية ؟يقول محمد عمارة " اذا كانت النهضة هي صيرورة تاريخية وحتمية فالطهطاوي اول نافذة اطل منها العالم العربي على الحداثة" لكن المشروع النهضوي ظل مجرد رؤية تسكن الكتب لانه لم ينبع من صميم الواقع العربي وهواجسه فكان يتراوح بين الايديولوجيا واليوتوبيا ولم تتحول تلك الافكار الى مشروع جماهيري عملي ولعل التيار الاصلاحي سيسعى الى اخراج الافكار الثورية من القوة الى الفعل وهو ما سنكتشفه مع الافغاني وتلميذه محمد عبده

- حركة الإصلاح الديني والنهضة العربية

ضبط مفهوم الإصلاح الديني/ قبل ضبط المفهوم والحديث عن المشاريع العربية خاصة مع الافغاني يجب طرح الساؤلات التالية / هل نحن بحاجة لاعادة قراءة الحركات الاصلاحية لحل مشاكلنا الراهنة ؟او لم العودة إلى الافغاني؟

لقد افرزت صدمة الحداثة ثلاثة تيارات وهي (التيار الليبرالي الذ يقوم على مقولة ان الواقع لن يتغير إلا عبر تأسيس دولة حديثةوالذي مثله رفعت رافع الطهطاوي / والتيار الثاني الذي يقوم على مقولة ان الواقع لن يتغير إلا إذا غيرنا نظرتنا إلى الطبيعة والكون والذي مثله شبلي شميل / اما الاتجاه الاخير فهو يقوم على التيار الاصلاحي الذي يرى ان الواقع لن يتغير إلا إذا غيرنا فهمنا للدين وقد مثله الأفغاني .

مصطلح الإصلاح/ إننا معنيون هنا بتلك الأفكار التي ظهرت في القرن 19 وهي تلك الافكار التي أنتجها مفكري الإسلام منذ صدمة الحداثة والتي لا تزال أصداؤها مستمرة وآثارها منبثقة في الافكار لحد اليوم، لأن رواد الإصلاح أدركوا التفاوت التاريخي بين مجتمعاتهم ومجتمعات الحداثة الغربية ، وقد بحثوا في الوسائل التي يمكن ان تنتقل بالمجتمعات العربية إلى وضع أفضل، وقد لاحظ رواد النهضة أن هذا التخلف والإنحطاط يعود إلى القرن 14 ومن مظاهر ذلك النكوص الكلي عن الفعل السياسي والإقتصادي و الثقافي و الإجتماعي حتى بلغ درجة العجزالكلي عن النمو في القرن 19هذا الوضعهو الذي إشتغل عليه مفكرينا وعملو على محاولة إصلاحه وهي الفترة التي يطلق عليها (فهمي جدعان) مرحلة اليقضة والنهضة وهي لحظة تاريخية سعى فيها الرواد للتحرر من سلطة الأتراك .

- في دلالة المصطلح / مصطلح الإصلاح يرادف التجديد والتحديث والتغيير ، والهدف منه إحداث نهضة سياسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية. ومن شأنها إعادة المجتمعات العربية لحركة التاريخ . وإرتكزت الإيديولوجيا الإصلاحية على النص الديني، فهي دعوة إلى تجديد الفهم كإعادة تأويل النصوص الدينية، فهو إصلاح يشمل المناهج والآليات. وهكذا إتفق الرواد على ضرورة العودة إلى النصوص .وهذه العودة هي الكفيلة بإخراج الأمة من تخلفها، فالمعيار للنهضة هو الإسلام كدين ، وفعل التجديد والإصلاح لا يقتصر على الدين الإسلامي فحسب، فقد ظهرت حركات الإصلاح الديني في أمريكا اللاتينية ، ودعت إلى ضرورة إعادة قراءة النصوص الدينية لفهم روح العصر بحيث ظهرت حركات تنويرية دعت إلى ضرورة تفعيل مبدأ التأويل من أجل إستنطاق النصوص الدينية إنطلاقا من شروط العصر الراهن، ومن بين الحركات الاصلاحية التي ظهرت حركة (مارتن لوثر)

وقد أنشأ حسن حنفي على شاكلة لاهوت مسيحي ويهودي لاهوت إسلامي متأثرا بجمال الدين الأفغاني وحركة الإصلاح ، رغم أن حسن حنفي يؤكد على أن الفكر الإصلاحي لم يقدم تصورات تكون بمثابة أرضية لتأسيس رؤى تكون قادرة على إستعاب متطلبات العصر ورهاناته ، مما يعني أن الفكر الإصلاحي لم يكن جذريا في رؤيته ، لهذا لم تتمكن المجتمعات العربية من تجاوز أزمته ، فالإصلاح الديني لم يكن ثمرة لمنطلق تطور الدين الداخلي لهذا يقول أحمد برقاوي(بأن الإصلاح الديني يقوم على النظر إلى هذا الإتجاه بوصفه تجاوزا لعجز الإيديولوجيا الديني السائدة عن الإستجابة لمطالب فئات إجتماعية تمت وتطورت في قلب التحولات الطبقية والسياسية والثقافية .

الأفغاني سيرة ومشروع / في الوقت الذي بذأت فيه الدول الأوربية تتقدم وتتطور- بدأت الشعوب العربية والإسلامية في الإنحطاط والتدهور لقد كان الحل بالنسبة لرجال الفكر هو الانفتاح على أوربا ، ولكن ظهرت دعوات أخرى جادة تهدف إلى وحدة العالم ، الشريعة، الهندسة، مما يعني أنه جمع بن العلوم الشرعية و العقلية ، وإطلع على بعض نظريات الطب، والفيزياء والكيمياء وكذا الفلسف، مما يعني أنه كان ملما بكل حقول العلوم مما ساعده على إقامة حلقات تواصل مع كل أصناف المعارف ، ولاك أن الإنتماء الأرستقراطي لجمال الدين الأفغاني كان له الأثر الكبير في رؤيته للعالم الإسلامي، لأنه كان ينتمي إلى أسرة حاكمة في إحدى إمارات الأفغاني . كما عرف بإتقان اللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى العربية .

- الأسس التي أقام عليها الأفغاني إصلاحه

1/ الرجوع إلى كتاب الله والإشستضاءة بهديه والعمل بمبادئه

2/ تطهير الدين من البدع والخرافات والإنحرافات التي لحقت به

3/ ضرورة العودة إلى فتح باب الإجتهاد ومحاربة التقليد والجمود

4/ الدعوة إلى تربية دينية صحيحة للنشأ ، يتولى أمرهم فقهاء

5/ الدعوة إلى وحدة المسلمين المسلمين على حكومة إسلامية يكون دستورها الإسلام

6/ الدعوة إلى قيام حكم من منطلق إسلامي قائم على الشورى والعدل .

بدأ الافغاني أولا بتفكيك الأزمة إلى عناصرها فلاحظ أنها أزمة مركبة تعود جذورها إلى القرن 14 ولكنها تأزمت أكثر بفعل الإستعمار الحديث الذي سعى إلى

تفكيك الهوية ، وإعادة تأسيسها على معطيات مغايرة تماما لهوية الاسلام ، لكنه لم يمنع نفسه من النقد لكل المؤسسات منها /

أ/ التخلف التربوي / لقد لاحظ الأفغاني أساليب التربية في ظل المدارس العربية والإسلامية تقتصر على تقديم مواد شرعية ولا تهتم بالعلوم العقلية والطبيعية، وهذا كان سببا في بلورة وعي مزيف(حيث كرست المدارس في نشر الخرافات والاسطورة)

ب/ التخلف السياسي/ هذا التخلف لاحظه في علاقة الحاكم بالمحكوم ، فلا وجود لحوار بين السلطة والمجتمع ، لان السلطة دائما تمارس الإقصاء ، والمجتمع مجرد وسيلة لتحقيق أهداف السلطة الحاكمة التي لا تلتفت لحقوق المواطن، وبالتالي غياب الحرية لمختلف أشكالها (الفكرية، التغيير ، النقد، الإبداع) بسب الإستبداد.

ج/ ضرورة تغيير نظام الحكم/ وهذا يعني لا يكون إلا عن طريق رفض الإستعمار ، فنادى أولا بضرورة أم تحصل الشعوب العربية والإسلامية كافة إستقلالها السياسي ، ونلمح هنا ان التغيير الذسي أراده الأفغاني هو تغيير راديكالي يمس كل الجوانب السياسية والإقتصادية والثقافية...

د/ ضرورة خروج الإستعمار من العالم العربي/ لأن الإستعمار أخر وأبطأ المشاريع النهضوية في العالم العربي .

المحاضرة الخامسة / المشروع الإصلاحي عند جمال الدين الأفغاني(تابع)

د/ دفاعه عن الإسلام /لقد نقل عن الافغاني قوله في العروة الوثقى يصف الإسلام (الإسلام أداة قوة وعزة ، فمن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لا بد أن يكونوا أول ملة (حربية) في العالم ، وان يسبق لجميع الملل إلى إختراع الالات القاتلة وإتقان العلوم العسكرية فيما يلزم من الفنون كالطبيعة والكيمياء والهندسة ...الخ

لقد كان الأفغاني يكرس حياته دائما للدفاع عن الإسلام الذي يهدده خطر الإستعمار الغربي والذي يعمل دائما على تفتيت الأمة . وقد كان يرى أن شعوب الغرب ليست بأفضل من الشعوب الإسلامية ، إنما يرجع ضعفها إلى عدم إتحادها وعدم تمسكها

بقيمها الخلقية ، وأن الدول الإسلامية لأن الإسلام فيها شعائر فقط وليس حضارة .

لقد كان الأفغاني يطلب بكل قوة وعزم فتح باب الإجتهاد من جديد ويطلب العودة إلى روح الإسلام وبساطته- ولقد وقف الأفغاني الشطر الأكبر من حياته على الدفاع عن البلدان الإسلامية المهددة بخطر التوسع الأوربي ،إلا أن تفكيره لم يتوقف على السياسه فقط. فالقضية الأساسية لديه هو كيفية إقناع المسلمين بأن عليهم أن يفهموا دينهم الفهم الصحيح وأن يعيشوا وفقا لتعاليمه ،فلو أنهم ذلك لغدت بلادهم قوية .

التقدم / لقد كان الأفغاني يدعوا إلى التقدم ويسعى إليه ، فالتقدم عنده يكون على هدفين

- تطور إجتماعي/ زيادة القوة الإجتماعية والرفاهية

- تطور فردي/ تطوير مواهب الفرد ومشاعره وأفكاره .

ولقد رأى أن الأمة الإسلامية كانت في أوج تطورها وكانت تتميز بالخصائص الضرورية للمدنية المزدهرة، فقد كان المجتمع متطور وكان الفرد أيضا متطور لأن الإنسان أنذاك كان يؤمن بالعقل والوحدة والتضامن ورأى أن ما أمكن تحقيقه في الماضي يمكن أيضا تحقيقه الآن، وذلك بقطف ثمار العقل (علوم الغرب).

و - الوحدة/ يرى الأفغاني أن ما من نوع من أنواع التضامن الطبيعي ولا حتىحب الوطن يمكنه أن يحل في قلوب المسلمين محل الرابطة التي خلقها الإسلام ، إذ أن الوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية تقوم على الإعتقاد الديني المشترك ، فإذا إنعدم هذا إنحل المجتمع .

ه -القضاء على موجة التقليد الغربي والإعجاب به/ لقد رأى الأفغاني أن العالم الإسلامي قد حلت به كارثة عظمى وهي أن روحا من الإعجاب بهؤلاء المستعمرين قد اخذت تسري بين الشعوب الإسلامية ، وقد أخذت دعوة قوية إلى إتباع الغربيين وتقليدهم في أساليب حياتهم دون النظر إلى ما كان منها صالحا أو فاسدا ، وكان هذا كله مؤديا إلى زعزعة ثقته بمبادئه وثقافته .

ي -الجامعة الإسلامية / لقد دعا الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية ، والتي تعني أن للإنسان المسلم إنتماء اسلامي ، فهو يعني رفض الوقوف بفكرة الوطن بل يتجاوز دائرة الوطن القومي العربي إلى عالم الإسلام الذي يضم الأقاليم والقوميات ، وهدف هذه العلاقات ليس حسن الجوار أو المصالح الإقتصادية ، وإنما تعني فوق كل هذا وجود وحدة في الحضارة الإسلامية تجعل عالم الإسلام منظومة حضارية .

إستنتاجات

لقد إستند جمال الدين الأفغاني على المنهج الثوري ، وهو ينتم إلى التيار الإصلاحي الذي يدعوا إلى إصلاح سياسي تربوي ثم إصلاح فكري ديني ، بحيث كانت إرادة الأفغاني إحداث تغيير جذري راديكالي من خلال تغيير النظام السياسي ، ليتغير تبعا لذلك المجتمع ككل، كما دعا الأفغاني إلى ضرورة الإهتمام بالمرأة لان المرأة دور مهم في التغيير الحضاري ، لهذا دعا إلى أن يكون هناك تقاسم للأدوار، كما يجب أن تكون هناك مساواة ،وفي المقابل من ذلك دعا إلى ضرورة تكييف الأعمال التي تقوم بها المرأة مع طبيعتها ، لكن رفض الافغاني تقليد المرأة المسلمة المرأة الغربية في لباسها وسلوكياتها والمظهر.

إن قوة الأمة حسب الأفغاني يكمن في تمسكها بأصولها ومدى مراعاتها لمبدأ المساواة بين المواطنين والعدالة الإجتماعية والتكافؤ بين الأفراد في الفرص والحرية بين أفراد المجتمع، لهذا يمكن الإشارة إلى بعض الموضوعات التي فتحها الأفغاني للنقاش وهي /

1/ تمييز الأفغاني بين النصوص التأسيسية والنصوص الشارحة

2/ دعوة الأفغاني إلى ضرورة تأويل النص وفق معطيات العصر

3/ تم الإستثمار في مقولة الثورة في مقاومة الإستعمار ومنه الإستقلالي السياسي (الجمع بين المشروع الفكري والمشروع الثوري).

- مشروع محمد عبده

تمهد/ ولد محمد عبده عام '(1849) في قرية على ضفاف الدالتا المصرية من عائلة متخلقة ، وعندما بلغ سن 13 دخل الجامع الأحمدي في طنطا الذي كان اعظم مركز للثقافة الدينية في مصر بعد الأزهر.

لقد دعى محمد عبده إلى ضرورة تجديد الفكر الإلام متأثرا في ذلك برؤة أتاذه الافغاني الذي دعى إلى ضرورة العودة إلى الدن الإسلامي في صورته النقية وتطهيره من كل الشوائب التي علقت به في مراحل الركود الحضاري من سيطرت الخرافة، وهنا يمكننا أن نتساءل حول ماهية مشروع محمد عبده الإصلاحي؟وكيف نظر للحداثة الغربية؟وماهو المنهج الذي إعتمده في مشروعه الإصلاحي؟

إن مسالة الإصلاح عند محمد عبده هي ضرورة تاريخية تبدأ بتطهير الدين من كل الخرافات والإبتعاد عن التحريفات ، مما يعني أن الاصلاح هو فعل داخلي يخص

المجتمعات الإسلامية، لهذا نجد محمد عبده يقترح علاجا للأمة ينبع من داخل هوية المجتمع ، وهو ضرورة العودة إلى الدين الحق، لكن فكر محمد عبده إرتبط بالتفكير في كيان الأمة وشروط النهضة على إعتبار أن العقيدة هي الرابط الذي يوحد العالم الإسلامي، فهو لم يحدد هذا الكيان تحديدا جغرافيا أو عرقيا ، وقد عبر عن ذلك في قوله ((كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحق فهي ممقوتة على لسان الشارع والمعتمد عليها مذموم والمتعصب لها ملوم))وهنا نلاحظ أثر التكوين الذي تلقاه عبده في جامعة الأزهر، حيث تلقى في بداية الأمر وعا دنيا رغم رفضه لطبيعة التعليم في الأزهر، لأن المؤسسة بعيدة كل البعد عن المجال العلمي والمنطقي .

ورغم ذلك جعل محمد عبده من الدين مرتكز النهضة والحداثة الإسلامية عندما دعى إلى ضرورة توحد الأمة على الدين ، لأن المتدين بالدين الإسلامي متى رسخ فيه إعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه و يلتفت عن الروابط الخاصة إلى العامة وهي علاقة المعتقد. ولا شك أن للأفغاني أثر كبير على شخصية محمد عبده الفكرية ، لأنه إكتسب منه آليات النقد السوسيولوجي والسياسي ـ مما قدم له دفعا وتحولا كبيرين ، حيث إنتقل من الشخصية السلفية المتصوفة إلى شخصية الفيلسوف الناقد، وهذا واضح عندما كان محمد عبده يمارس مهنة التدريس .

لقد وجد محمد عبده نفسه أمام سؤال إشكالي يتعلق بدور الدين في تأخر الأمة الإسلامية ؟ لكن محمد عبده كان واضحا في تعامله مع هذا الإشكال ورد على كل من حاول رد التخلف إلى الدين ، وجعله السبب والعائق أمام كل تطور في التاريخ لذلك بتفكيك كل العوامل التي أدت إلى إنحصار الإبداع في العالم الإسلامي فلاحظ أن الدين كان عاملا إيجابيا في تشكيل الحضارة ، ولم يكن عائقا، لكن تخلي السلطة عن العمل يقيم الدين ونصوصه في الحياة السياسية والإجتماعية كان سبب الإنحطاط ، والخروج من الوضع مرهون بإعادة تفعيل الدين ونصوصه في الحياة العامة،وتمثل تجربة السلف، وهي تجربة أستثمرت في القيم الإنسانية التي تضمنتها النصوص

المحاضرة السادسة / الإتجاه الإصلاحي عند محمد عبده (تابع)

لقد ظهرت جرأة محمد عبده في تجديده للفكر الديني، فكان من الأوائل الذين نادوا بتحرير الفكر من التقليد وفهم الدين على نهج سلف الأمة ، وقد أشاد إلى العقل ونظر إليه على أنه أفضل القوى الإنسانية .

لقد واجه عبده في في تجديد الفكر الديني تيارين كان لهما دور في إستقطاب عقول الأمة الإسلامية لاسيما المثقفين منها،وهما تيار الجمود في إطار الظلام الفكري، وتيار التغريب القائم على العلمانية وبضرورة الأخذ بالحضارة الغربية والنظر إلى

الدين الإسلامي على أنه لا يواكب العصر، وهنا كان لمحمد عبده موقف حول هذه المسألة ـ فكان موقفه من التجديد هو الربط بين الدين والعلم ـ أي بين الإسلام ومتطلبات العصر / ولقد تلخصت دعوة الإصلاح الديني لديه في ثلاثة أمور وهي /

1/ دعوته إلى تحرير الفكر من قيد التقليد وعدم خضوع العقل إلا لسلطان البرهان

2/ تلازم الدين والعقل أو العلم ، وعدم الصدام بينهما لان كل منهما يؤدي دوره ، ولا غنى لهذا عن ذاك

3/ العودة إلى بساطة الإسلام الأولى والعمل على إذابة الخلاف الذي وقع بظهور الفرق المختلفة

التربية والتعليم / يرى محمد عبده ان التربية والتعليم هما أساس النجاح في كل مشروع سياسي أو إجتماعي، ويذهب أبعد من ذلك بإعتنقاده أن الأولوية في كل شيئ ينبغي أن تعطى للتربية والتعليم ، بل يمكن التغاضي حتى عن وجود مفاسد إجتماعية و إقتصادية و سياسية / من أجل تأسيس العملية التربوية ، لأنه إذا إنتشرت التربية والتعليم يمكن للمجتمع أن يستأصل جذور كل المفاسد مهما كان نوعها .

نستطيع أن نؤكد أن التعليم كان بالنسبة للإمام مشروع حياته يهدف من خلاله إلى تحقيق النهضة والإستقلال ، وقد عمل على تطويره وتجديده

هكذا مكن القول أن الإمام محمد عبده كان مهموما بإصلاح الزمن الإسلامي إنطلاقا من تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، فقد كان واحد من كبار أولئك العلماء المجتهدين.

أهداف التربية /

1/ بعث الروح الدينية وهذا يتطلب الإهتمام بالتربية الروحية لتوليد الطمأنينة للشعوب الحائرة القلقة .

2/ دور الدين في تربية النفوس وتحريره من الاوهام

3/ تربية العقل ،أي تعليم الناس كيف يستخدمون عقولهم وتدريبهم على الأساليب الصحيحة وشق طرق الحقيقة بنجاح، وإبعاد هذه العقول عن التصورات والإعتقادات الرديئة والتمييز بين الخير والشر .

4/ توعية المواطنين بأهمية القوانين وإحترامها حيث يدعوا محمد عبده إلى قيام مؤسسات تعليمية، وتربية النشئ سياسيا و تربيتهم للولاء للوطن وحشد الناس حوله

والعلم بالمصلحة العامة ، واحترام القوانين .

5/ تحقيق التماسك الإجتماعي حيث تعد التربية عاملا هاما في توحيد الإتجاهات الدينية والفكرية لدى أفراد المجتمع، فعبدو قد ألح على تربية الأبناء على مقومات المجتمع التي تتمثل في قيمه الروحية ولغته القومية وتاريخه وعاداته وتقاليده .

6/ تطهير الإسلام من البدع والظلالات والعودة إلى نقائه الأول ، يقول الشيخ (إرتفع صوتي بالدعوة إلى أمرينعظيمين الاول تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف في كسب معارفه. وقد هاجم محمد عبده التقليد ولمقلدين

7/ أعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث ،/ أو التوفيق بين الدين والعلم ، فالدين حسبه لا يقف حاجزا أمام العلم ـ بل الدين يبعث على طلب العرفان .

8/ الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية / وضد حملات المبشرين المسيحيين ، حيث دافع عن الإسلام ، ورأى أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان مهما تغيرت أساليب الحياة ، فالدين يتعلق بأحوال البشر ما وجدوا فهو يحفظ كل مصالح البشر (كحفظ النفس ، الدين، العقل ، العرض ، المال) فمصالح الناس مبنية على حفظ هذه الأشياء .

هكذا بدأ محمد عبده مروعه الفكري من جملة تساؤلات تتعلق بمآلات العالم الإسلامي مؤكدا أن الإسلام المعياري عاملا من عوامبل النهوض يختلف عن الإسلام السائد المحرف الذي ينبغي تخليصه من كل التصورات اللاعقلانية التي قيدت العقل، و أغلقت باب الإجتهاد يقول عبده ((كل م يعاب على المسلمين ليس من الإسلام انما هو شيئ آخر يسمونه إسلاما)) لهذا اختار عبده منهج الحوار والمناقشة في الرد على كل من يدعي أن الاسلام يتنافى والعقل ، وقد حاول إثبات بأن الدين الإلامي في جوهره هو رساله موجهة للعقل ، وهذا سر الحضارة الإسلامية ، وهي حضارة لها أبعاد إنسانية كونية / فالإسلام يقدس العقل ويدعوا إلى توظيفه والإحتكام لأحكامه يقول عبده ((الإسلام لا يعتمد على شيئ سوى الدليل العقلي)) ويعتبر النظر العقلي من الأسس التي بنيت عليها الرؤية الإسلامية للكون وللحياة لأن ((أول أساس وضع للإسلام هو النظر العقلي ، والنظر عنده هو وسيلة الإسلام الصحيح

لقد إتفق محمد عبده مع أستاذه في تشخيص الأزمة لأنه أدرك درجة التخلف على كل المستويات الذي أصاب الأمة والتي يسميها الإنتكاسة التاريخية ، فهناك تخلف على كل المستويات / تخلف تربوي ، سياسي ـ لكنه أرجع ظاهرة التخلف إلى بعد الأمة

عن الإسلام الحقيقي وكذا سيطرت إسلام المماليك وإسلام الحكم المدني ـ وهو إسلام الشعوذة والخرافات والطرقية، هذا النوع من الاسلام كان سببا في تجميد المجتمع وتراجع درجات الوعي ، لانه كرس للسلطة اللاهوتية التي تعارض والإسلام .ذ

إستنتاجات

ما يمكن إستنتاجه بعد هذه القراءات لمشروع محمد عبده وجمال الدين الأفغاني نجمله فيما يلي /

كل من محمد عبده وجمال الدين الأفغاني حاولا ممارسة فعل النقد على الواقع العربي والإسلامي ، ليكونا بهذا قد أسسا لثقافة النقد في الفكر العربي الحديث والمعاصر .

كل من محمد عبدو والافغاني فتحا آفاقا جديدة لإعادة قراءة النص القرآني وفق معطيات العصر .

كل منهما اتفقا على فكرة أن الإسلام هو المرجعية الأخلاقية والروحية لنهضة الامة العربية

الأفغاني ومحمد عبده إتفقا على أهمية الحرية والفكر كوسيلة للنهضة .

كل من الافغاني ومحمد عبده طالبا بضرورة الإنفتاح على الآخر و بهذا يكونا قد أثارا سؤال الأنا والآخر

كل من الافغان ومحمد عبده إنتبها إلى ضرورة الجمع بين التنظير والعمل والممارسة فهؤلاء فكرو بطريقة فلسفية ولكن ليسوا بفلاسفة .

بعض المراجع

1/ محمد أركون / العلمنة والدين،الإسلام ،المسيحية ، الغرب ، ترجمة هاشم صالح ،دار الساقي ط3 بيروت لبنان 1996

2/ محمد عابد الجابري/ تكوين العقل العربي ، المركز الثقافي العربي، ط3 ، 1987

3/ ناصيف نصار/ طريق الإستقلال (سيل الفكر الغربي إلى الحرية والإبداع) دار الطليعة بيروت 1988

4/ محمد وقيدي / احميدة النفير، لماذا أخفقت النهضة العربية ، دار الفكر ، دمشق ط1 2002،

5/ برهان غليون / إغتيال العقل ، محنة الثقافة العربية بين التبعية والسلفية ، دار

المعرفة للنشر تونس ط1، 1989

6/ زكي نجيب محمود/ تجديد الفكر العربي ، دار الشروق بيروت ط7، 1982

7/ هشام جعيط / في مفهوم النهضة / مجلة اليوم السابع ، ع254 السنة الخامسة ، 1989

8/ شريف محمد بديع وآخرون ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، جامعة الدول العربية

9/ أبو يعرب المرزوقي / آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة ، دار الطليعة بيروت ط1، 1999

10/ البرت حوراني / الفكر العربي في عصر / 1797 / 1939 ، دار النهار بيروت

11/ الطهطاوي / الاعمال الكاملة ، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان 1973

12/ فهمي جدعان / أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1989